

الأمثال في القرآن الكريم

(74) وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ النفاق بورة الخطر، وأنّهم يشكلون خطورة جسيمة على المجتمع الإسلامي. وقد مثل بمثلين يوقفنا على طبيعة نواياهم الخبيثة وما يبطنون من الكفر. بدأ كلامه سبحانه في حقهم بأنّ المنافقين هم الذين يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان (وَإِذَا لَفَعُوا الصَّالِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ). ثمّ إنّّه سبحانه يردّ عليهم، بقوله: (إِنَّمَا يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) والمراد أنّّه سبحانه يجازيهم على استهزائهم. ثمّ وصفهم بقوله: (أُولَئِكَ الصَّالِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)، أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، فلم يكونوا رابحين في هذه التجارة والاستبدال، ثمّ وصفهم بالتمثيل الآتى: نفترض أنّ أحداً، ضلّ في البداء وسط ظلام دامس وأراد أن يقطع طريقه دون أن يتخبّط فيه، ولا يمكن أن يهتدي – والحال هذه – إلّا بإيقاد النار ليمشي على ضوئها ونورها ويتجنب المزالق الخطيرة، وما أن أوقد النار حتى باغته ريح عاصفة أطفأت ما أوقده، فعاد إلى حيرته الأولى. فحال المنافقين كحال هذا الرجل حيث إنّهم آمنوا بادىء الأمر واستناروا بنور الإيمان ومشوا في ضوئه، لكنّهم استبدلوا الإيمان بالكفر فعمّهم ظلام الكفر لا يهتدون سبيلاً. هذا على القول بأنّ المنافقين كانوا موّمنين ثمّ عدلوا إلى الكفر، وأمّا على